و (أن) يجوز أن تكون مخففة من (أن) واسمها ضمير شأن محذوف وجملة (تداركه نعمة من ربه) خبرها . ويجوز أن تكون مصدرية أي لولا تدارك رحمة من ربه .

والتدارك : تفاعل من الدرك بالتحريك وهو اللحاق أي أن يلحق بعض السائرين بعضا وهو يقتضي تسابقهم وهو هنا مستعمل في مبالغة إدراك نعمة ا إياه .

والنبذ : الطرح والترك . والعراء ممدودا : الفضاء من الأرض الذي لا نبات فيه ولا بناء .

والمعنى : لنبذه الحوت أو البحر بالفضاء الخالي لأن الحوت الذي ابتلعه من النوع الذي يرضع فراخه فهو يقترب من السواحل الخالية المترامية الأطراف خوفا على نفسه وفراخه .

والمعنى : أن ا أنعم عليه بأن أنبت عليه شجرة اليقطين كما في سورة الصافات .

وأدمج في ذلك فضل التوبة والضراعة إلى ا وأنه لولا توبته وضراعته إلى ا وإنعام ا عليه نعمة بعد نعمة لقذفه الحوت من بطنه ميتا فأخرجه الموج إلى الشاطئ فلكان مثلة للناظرين أو حيا منبوذا بالعراء لا يجد إسعافا أو لنجى بعد لأي وا غاضب عليه فهو مذموم عند ا مسخوط عليه . وهي نعم كثيرة عليه إذ أنقذه من هذه الورطات كلها إنقاذا خارقا للعادة .

وهذا المعنى طوي طيا بديعا وأشير إليه إشارة بليغة بجملة (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) .

وطريقة المفسرين في نشر هذا المطوي أن جملة (وهو مذموم) في موضع الحال وأن تلك الحال قيد في جواب (لولا) فتقدير الكلام : لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء نبذا ذميما أي ولكن يونس نبذ بالعراء غير مذموم .

والذي حملهم على هذا التأويل أن نبذه بالعراء واقع فلا يستقيم أن يكون جوابا للشرط لأن (لولا) تقتضي امتناعا لوجود فلا يكون جوابها واقعا فتعين اعتبار تقييد الجواب بجملة الحال أي انتفى ذمه عند نذبه بالعراء .

قوله عليه دل محذوفا (لولا) جواب يكون أن وهو آخر وجه النظم تفصيل في لي ويلوح A E) وهو مكظوم) مع ما تفيده صيغة الجملة الاسمية من تمكن الكظم كما علمت آنفا فتلك الحالة إذا استمرت لم يحصل نبذه بالعراء ويكون الشرط ب (لولا) لاحقا لجملة (إذ نادى وهو مكظوم) أي لبقي مكظوما أي محبوسا في بطن الحوت أبدا وهو معنى قوله في سورة الصافات (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) وتجعل جملة (لنبذ بالعراء وهو مذموم) استئنافا بيانيا ناشئا عن الإجمال الحاصل من موقع (لولا) .

واللام فيها لام القسم للتحقيق لأنه خارق للعادة فتأكيده لرفع احتمال المجاز . والمعنى : لقد نبذ بالعراء وهو مذموم . والمذموم : إما بمعنى المذنب لأن الذنب يقتضي الذم في العاجل والعقاب في الآجل وهو معنى قوله في آية الصافات (فالتقمه الحوت وهو مليم) وإما بمعنى العيب وهو كونه عاريا جائعا فيكون في معنى قوله (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) فإن السقم عيب أيضا .

وتنكير (نعمة) للتعظيم لأنها نعمة مضاعفة مكررة .

وفرع على هذا النفي الإخبار بأن ا اجتباه وجعله من الصالحين .

والمراد ب (الصالحين) المفضلون من الأنبياء وقد قال إبراهيم عليه السلام (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين) وذلك إيماء إلى أن الصلاح هو أصل الخير ورفع الدرجات وقد تقدم في قوله (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) في سورة التحريم .

قال ابن عباس رد ا إلى يونس الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه .

(وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون [51] وما هو إلا ذكر للعالمين [52]) عطف على جملة (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) عرف ا رسوله A بعض ما تنطوي عليه نفوس المشركين نحو النبي A من الحقد والغيظ وإضمار الشر عندما يسمعون القرآن .

والزلق : بفتحتين زلل الرجل من ملاسة الأرض من طين عيها أو دهن وتقدم في قوله تعالى (فتصبح صعيدا زلقا) في سورة الكهف .

ولما كان الزلق يفضي إلى السقوط غالبا أطلق الزلق وما يشتق منه على السقوط والاندحاض على وجه الكناية ومنه قوله هنا (ليزلقونك) أي يسقطونك ويصرعونك